الصورة الجغرافية لمنطقة المسيلة من خلال رحلة شارل دوغالون1897م

الباحث. راجعي عبد العزيز جامعة قسنطينة 02 عبد الحميد مهري

مقدمة:

من المصادر التي تتميز بالجدية و التي يعتمد عليها في كتابة تاريخ الجزائر أثناء فترة الاحتلال الفرنسي الرحلات التي قام بها الأوربيون إلى الجزائر وجابوا مختلف مناطقها ، ونقلوا لنا معلومات غزيرة بالأحداث التاريخية ومعطيات وفيرة حول الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

هذه الرحلات في غاية الأهمية كونها تساعد الباحث والمؤرخ من الإطلاع على كم هائل من المعطيات التاريخية والمادة الخبرية الخاصة ببعض المناطق الداخلية للجزائر ، من بينها منطقة الحضنة التي كانت مقصدا وهدفا لعدة رحالة أوربيين، الذين تركوا لنا مادة خبرية قيمة ساهمت إلى حد بعيد في إقامة تصور حي عن منطقة الحضنة[1] ومجتمعها في أواخر القرن 19 م وبدايات القرن 20م . و من بين هؤلاء؛ الرحالة الفرنسي **شارل دو غالون Charles De Galland**(1851- 1923م) و رحلته الموسومة بـ: " رحلة إلى بوسعادة ومسيلة " (**Excursion à Bou–Saada et M'sila**) سنة 1897م .

تناولت هذه الرحلة جوانب عدة منها: الجانب التاريخي (السياسي والعسكري)، الجانب الإجتماعي (الديني والثقافي)، ولا سيما الجانب الجغرافي[2] لمنطقة الحضنة، وهو غاية دراستنا هذه، التي تستوجب طرح الإشكالية التالية:

كيف كانت الصورة الجغرافية لمنطقة المسيلة من خلال هذه الرحلة؟

وعلية الإجابة على هذه الإشكالية تكون وفق الخطة التالية:

---

[1] – **مصطلح الحضنة:** الحضنة مصطلح جغرافي ولغوي وإجتماعي يشمل منطقة واسعة تضم عدة مدن كبرى (المسيلة، بوسعادة، سيدي عيسى، ونوغة، أولاد دراج، مقرة...)، تطور مفهومه عبر العصور من القديم إلى الوسيط فالعصر الحديث، من خلال عدة مصادر جغرافية؛ كالمقدسي، البكري، إبن حوقل، الإدريسي، الوزان، العياشي، شو وديبوا، كما يمثل الإقليم منطقة متميزة بمظهرها الطوبوغرافي والجغرافي المحصور بين سلاسل جبلية برزت من خلالها صفة الإحتضان، وهي مصدر تسميته بإسم الحضنة، تسمية نجدها ترتبط أكثر بالروابط الإجتماعية والإقتصادية التي عاشتها المجموعات البشرية المحيطة بمدينة المسيلة، وليس إلى حدود سياسية أو إدارية. أنظر: سعد الدين سهام: (من أعلام الحضنة ودورهم في الحركة الوطنية وثورة التحرير 1900-1962م)، مذكرة ماستر، تاريخ حديث ومعاصر، إ. بيرم كمال، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة المسيلة، 2013/2012، ص06. أيضا: Despois.J, le hodna (algerie), PUF, paris, 1953, pp6-11.

2 – **علم الجغرافيا:** علم يقوم بدراسة سطح الأرض وما عليه من ظواهر بشرية، حيث يهتم بتوزيع هذه الظواهر توزيعا إقليميا، مع دراسة مدى تأثرها بمظاهر البيئة الطبيعية، والجغرافيا بهذا المعنى ذات شقين، جغرافية طبيعية وجغرافية بشرية. للمزيد أنظر: محمود محمد سيف: أسس البحث الجغرافي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998م، ص ص 13-14. أيضا: إبراهيم أحمد سعيد: أسس الجغرافية البشرية والإقتصادية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، منشورات حلب، سوريا، 1997م، ص18.

- مقدمة
- ماهيـة الرحلة (تعريفها، دوافعها، أنواعها)
- التعريف بالرحالة شارل دو غالون
- صورة الجغرافية الطبيعية لمنطقة المسيلة من خلال الرحلة
- صورة الجغرافية البشرية لمنطقة المسيلة من خلال الرحلة
- خاتمة

I. ماهية الرحلة:

1. تعريفها:من الإرتحال، و هي تعني الإنتقال من مكان إلى مكان آخر لتحقيق هدف معين، سواء كان الهدف ماديا أو معنويا، أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السَّفر، وجمعه: أسفار.
ويعرفها بطرس البستاني بأنها: « إنتقال واحد- أو جماعة – من مكان إلى مكان آخر، لمقاصد مختلفة، وأسباب متعددة »[1].

وتقدم الدكتور صلاح الدين الشامي حينما أضاف قائلا أنها: « إنجازا أو فعلا فرديا أو جماعيا لما يعنيه إختراق حاجز المسافة، وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر، ويتأتى هذا الإنجاز من أجل هدف معين، ويجاوب هذا الهدف إرادة الإنسان وحركة الحياة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر.و قد تكون الرحلة هواية تشبع حاجة الإنسان وترضيه، وقد تكون إحترافا يخدم حاجة الإنسان ويشبعه، ولكنها تكون- في الحالتين- إستجابة مباشرة لحوافز ودوافع محددة تدعو بكل الإلحاح للحركة والتنقل »[2].

تجمع هذه التعريفات في جوهرها على أن الرحلة حركة، وهذه الحركة ذات هدف قد يتحقق وقد لا يتحقق، وسيتم في كلتا الحالتين، إكتساب خبرات عملية وفكرية ناجمة عن المخالطة. وبذلك يتم التقابل بين الرحلة في اللغة والإصطلاح حيث يجمعهما أنهما «حركة». هذه الحركة التي يتم من خلالها تسجيل أحداث السفر وما شاهده الرحالة، وما عاشه من أحداث، مازجا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم[3].

---

1 – بطرس البستاني، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، ج08، بيروت- لبنان، (د.ت)، ص564.

2 – صلاح الدين الشامي، الرحلة العربية في المحيط الهندي ودورها في خدمة المعرفة الجغرافية، مجلة عالم الفكر، مج13، ع4، وزارة الإعلام- الكويت، جانفي- فيفري- مارس1983م، ص 13.

3 – ناصر عبد الرزاق الموافى: الرحلة في الأدب العربي- حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط1، دار النشر للجامعات المصرية- مكتبة وفاء، مصر، 1415هـ/ 1995م، ص ص23-25.

إن الإنسان الذي ينطلق في بداية الرحلة ليس نفسه عندما يعود منها، فالرحالة يمضي بثقافة معينة ويعود بعد رحلته وقد إكتسب ثقافة أخرى، حيث يقول في هذا الشأن الإمام الشافعي[1]:

سافر تجد عوضا عمن تفارقه....وأنصب فإن لذيذ العيش في النصب

إني رأيت وقوف الماء يفسده....إن سال طاب وإن لم يجري لم يطب

والشمس لو وقفت في الفلك دائمة....لملها الناس من عجم وعرب

أما أبو الحسن المسعودي فيقول: « ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار من إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع بين أيامه تقاذف الأسفار، وإستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه »[2].

2.دوافعها: من الدوافع ماهو مرتبط بالمنظومة الثقافية (ثقافة الرحالة)، ومنها ما تعلق بالبيئة نفسها، وهي دوافع متعددة ومتنوعة نوجزها أهمها كما يلي:

1.2.دوافع دينية: كأن يكون الدافع زيارة الأماكن المقدسة كالحج تلبية لنداء الرحمن، بهدف التوبة وطلبا للمغفرة. أو تكون الرحلة من قبيل التبشير بالدين أو زيارة المقابر[3]. وعليه يتم تحديد طبيعة الرحلة من خلال أغراضها ومقاصدها، وبالتالي يصبح لدينا بما يسمى الرحلات الدينية، من أشهرها رحلة إبن بطوطة في كتابه" تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"[4].

2.2. دوافع علمية و تعليمية: ومنها ما يذكره إبن خلدون في مقدمته الشهيرة: « والرحلة لا بد منها في طلب العلم، ولإكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرحال »[5]بمعنى أن الدافع هو السعي وراء لقاء العلماء والمشايخ والإستفادة منهم، أو الإقبال على مراكز العلم في أي قطر من المعمورة، طلبا لمختلف العلوم، من فقه وطب وهندسة ورياضيات وفلك وجغرافيا وغيرها، ولهذا وجدت الرحلات العلمية التي قام بها رحالة كثر من بينهم عبد الله بن عباس والغزالي وإبن منده والأحنف العبكري الشاعر، وكذلك رحلات البحوث[6]. وبهذا المقصد

---

1 – فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، الإسكندرية– مصر، 2002م، ص09

2 – حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م

3 – فؤاد قنديل: مرجع سابق، ص19.

4 – شوقي ضيف: الرحلات، ط4، دار المعارف، القاهرة– مصر، 1987، ص ص 95– 96.

5 – عبد الرحمن بن محمد(إبن خلدون): مقدمة إبن خلدون، ط01، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت– لبنان، 2010م، ص606.

6 – فؤاد قنديل: مرجع سابق ، ص ص19–20.

أصبح لدينا ما يعرف بالرحلات العلمية، وأهمها رحلات الكشوف الجغرافية. وأهم الجغرافيين المسلمين الذين كان لهم الأثر البيّن في مجال الرحلات، نذكر اليعقوبي والإصطخري و إبن حوقل والمقدسي والمسعودي والإدريسي[1].

3.2. الدوافع تجارية: بهدف تبادل السلع والمنتوجات أو لفتح أسواق جديدة لمنتوجات محلية، أو لجلب سلع تكون متوفرة في مناطق دون أخرى، وقد يختلف الهدف ويكون هروبا من الغلاء نحو السلع الرخيصة والمتوفرة أو من أجل العمل[2] ولعل أشهر هذه الرحلات التجارية؛ التاجر العراقي سليمان بإتجاه الصين[3].

4.2. دوافع سياحية و ثقافية: وهي رغبة الذات في السفر وتغير الأجواء والمناظر وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة، والتعرف على كل ما هو جديد من خلق الله؛ الطبيعة والبشر، وقد يكون حبا في الإطلاع على مختلف حضارات الدول والتعرف على أشهر معالمها من أبراج وقصور ومسارح وغيرها[4].

5.2. الدوافع السياسية: وتتمثل في تبادل الآراء ووجهات النظر، أو تمتين العلاقات وتوطيدها بين الدول، مناقشة شؤون الحرب والسلام[5] وتندرج تحت هذه المقاصد الرحلات التكليفية والإدراية والسفارية. فالرحلة التكليفية أو التكليف كما يسميها الدكتور شوقي ضيف[6]، تكون بتكليف من الملوك أو الحكام والولاة، بغية القيام بمهمات رسمية، مثال ذلك رحلة ابن سلام الترجمان، الذي كلفه الخليفة الواثق بأن يذهب إلى حصون جبال القوقاز، لمعاينة سد الصين الكبير، الذي بناه ذو القرنين لعزل قوم يأجوج ومأجوج[7] أما التكليف الإداري، فهي الحاجة إلى جمع البيانات والمعلومات التي شملها الفتح الإسلامي، وجمع الضرائب وتقدير الثروات وتقديم التقارير، وسواء أطلق على هذا النشاط صفة (الجغرافيا الإدارية) أو (كتابة تواريخ الأقاليم)، فقد لعبت الرحلة دورا هاما في أدائه[8]. أما الرحلات السفارية، فقد تعددت تبعا للتقدم الحضاري في العصر الحديث تحديدا، ونشوء الدول. ومثال ذلك رحلات السفراء الذين أوفدهم الرسول (ص) برسائل إلى ملك فارس،وإمبراطورية بيزنطة، ونجاشي الحبشة، وعظيم

---

1 – عيسى علي إبراهيم: الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية– مصر، 2000، ص75.

2 – فؤاد قنديل: مرجع سابق، ص 20.

3 – شوقي ضيف، الرحلات: مرجع سابق، ص 29.

4 – فؤاد قنديل: مرجع سابق، ص 20.

5 – المرجع نفسه.

6 – سيد حامد النساج: مشوار كتب الرحلة (قديما وحديثا)، دار غريب للطباعة، القاهرة– مصر، (د.ت)، ، ص12.

7 – زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت– لبنان، 1981، ص ص 15– 16.

8 – حسين محمد فهيم: مرجع سابق، ص81.

القبط في مصر[1]. وأشهرها حديثا رحلة الوزير في إفتكاك الأسير (1690- 1691م) لمحمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي(ت: 1119هـ/ 1707- 1708م)[2].

وبناء على تعدد المقاصد والأغراض الذي حدد طبيعة الرحلة وهدفها؛ لابد للحديث عن أنواع الرحلات بشيء من الإختصار ما دمنا تكلمنا عن الدوافع التي تحدد طبيعة الرحلة.

3. أنواع الرحلات :

لقد اتخذت الرحلة أنواعا عدة تبعا لتعدد مقاصدها ودوافعها، ولهذا إختلف الباحثين المعاصرين في تصنيف الرحلات، وسبب هذا الإختلاف راجع إلى طبيعة المنهج الذي إتبعه هؤلاء، فالبعض منهم إتبع المنهج التاريخي، والبعض الآخر مزج ما بين المنهج التاريخي والمنهج الجغرافي، مثال ذلك، الدكتور (أحمد رمضان) قسم الرحالة- لا الرحلة- إلى: رحالة جغرافيين، ورحالة مشارقة، ورحالة مغاربة. والخلط في المنهج واضح. أما الدكتور شوقي ضيف صنف الرحلات إلى: رحلات جغرافية ورحلات بحرية، ورحلات في الأمم والبلدان، وهو تصنيف مماثل لسابقه. غير أن فريق آخر فكك وجزأ بين هذا وذاك فأخرج أنواعا لا رابط بينها . وعموم القول فإن أقرب تصنيف للواقع هو الذي حصر الرحلة في الأنواع التالية[3]: رحلات الدينيـة، رحلات علمية، رحلات رسمية (سياسية).

II. التعريف بالرحالة شارل دو غالون:

1. نشأته:

ولد الرحالة شارل دو غالون بالدويرة (الجزائر العاصمة) في 17ديسمبر1851م. وفي 21 أكتوبر1871م بدأ تكوينه الجامعي كطالب بثانوية الجزائر. ثم سافر إلى فرنسا ليلتحق بالمجمع المدرسي إيكس(Aix) سنة 1872م. عاد مجددا إلى ثانوية الجزائر في نهاية السنة نفسها وكلف بالتدريس. أما في سنة 1874م فتم تعيينه بثانوية تورنون (Tournon) ، ليصبح بروفيسور في علم البلاغة والبيان سنة 1875م بثانوية مونتوبان(Montauban). عاد إلى الجزائر سنة 1880 و لم يغادرها، حيث أسندت له مهمة تدريس الطور الخامس ثم الرابع ثم الثالث. وبتاريخ: 04 أوت1891م كلف بإدارة مهام ثانوية الجزائر الصغيرة إلى غاية فيفري 1902م. في هذه الفترة عين كممثل لمحافظة الجزائر في معارضها الدولية، من بينها معرض سنة 1900م.

---

1 - عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي: الرحلة في الإسلام – أنواعها وآدابها، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة- مصر، 1996م، ص ص30- 39.

2 - محمد الغساني الأندلسي: رحلة الوزير في إفتكاك الأسير 1690- 1691م، تحرير وتقديم: نوري الجراح، ط1، سيكو للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2002م، ص 12.

3 - عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي: مرجع سابق، ص ص 31- 34 .

و في عام 1908م ترأس قائمة إنتخابية بطلب من أصدقائه النواب الذين منحوه ثقتهم، لينتخب أول مرة رئيسا لبلدية الجزائر عام 1910م. أعيد إنتخابه مرة ثانية عام 1912م إلى غاية عام 1919م. بعدها تفرغ للفن والموسيقى التي أحبها كثيرا، كما أحب الأدب وخاصة منه الأدب الجزائري.

من أهم إنجازاته أثناء فترة رئاسته لبلدية الجزائر، حديقة الحرية التي أنشأئها سنة 1915م، تقع بشارع ديدوش مراد و تتربع على مساحة ثلاث هكتارات، تضم المتحف الوطني للآثار القديمة والآثار الإسلامية، بالإظافة إلى الإدارة المركزية والمكتبة، مدرسة إبتدائية ونصبا تذكرايا تخليدا له. كما تحتوي على أجمل وأروع الأشجار والنباتات والزهور المشكلة لمختلف المساحات الخضراء، وكذا المساحات أخرى للإستراحة مزينة بمربعات خزفية يرجع تاريخها للعهد الإسلامي. كل هذه الخصائص كانت سببا في تصنيفها سنة 1968م(01).

تجمعت في شخصه مجموعة من الصفات، فكان دائم الإبتسامة، لطيف، بشوش، يتسم بطيبة النفس وسماحتها و العدل، وكان بهذا يرغم خصومه على معاملته بكل إحترام وتقدير. توفي يوم 22 مارس 1923م عن عمر ناهز الواحد و السبعين سنة.

2. مؤلفاته:

وكانت له عدة مؤلفات نذكرها منها:

- كتاب روعة الجزائر (Alger pittoresque).
- كتاب بجاية (Bougie)
- رحلة إلى بوسعادة و زاوية الهامل[رحلة إلى بوسعادة ومسيلة]
- تاريخ ثانوية الجزائر (l'histoire du lycée d'Alger) (02)
- التسلق في جرجرة (Ascensions Dans Le Djurjura)(03)

2. مسار الرحلة :

حسب الخريطة المدرجة بالكتاب (Carte De L'itinéraire Parcouru)، التي توضح خط سير الرحلة من بدايتها إلى نهايتها وكذا المسافة المقطوعة، يمكن إبراز محطاتها المعلمية المزارة كالتالي[1]:

بداية الرحلة كانت من الجزائر العاصمة بإتجاه مدينة عومال(Aumal) سور الغزلان حاليا، ثم مدينة سيدي عيسى (Sidi Aissa) بعدها عين الحجل(Ain-hadjel)، فمدينة بوسعادة(Bou-saada)، وبتاريخ 29 جويلية 1897م[2]، يغدارها بإتجاه الهامل(El Hamel) ويعود إليها مجددا ويواصل رحلته متجها نحو مدينة

1 - Galland (DE) :Excursion de Bou_saada à M'sila .Ollendorf. Paris.1899, p08.

2 - Galland (DE) : Op.cit, p70.

المسيلة(M'sila)، وهي آخر محطة في هذه الرحلة، في الأخير يغادر شارل دوغالون ومرافقيه المسيلة ليعود إلى الجزائر عبر القطار بمدينة برج بوعريريج[1] في شهر مارس 1899م[2].

وللإشارة فقد إسطحب الرحالة معه الرسام غيوشين في هذه الرحلة وقام هذا الأخير برسم عدة مناظر مختلفة لمختلف المناطق المزارة، حيث قمنا بإدراج بعضها ضمن ملحق الصور لأجل إبراز أهمية هذه الرحلة في تبيان الصورة الجغرافية أنذاك للحضنة.

3. أهداف الرحلة :

إن الغاية المرجوة من هذه الرحلة، تكمن في رغبة الكاتب ومرافقية في إكتشاف كل ماهو جديد في شتى الجوانب الإجتماعية، الثقافية، الطبيعية، التاريخية، افقتصادية وغيرها، فيما تعلق بالمناطق التي شكلت خط سير هذه الرحلة، حيث عبر دوغالون عن الطموح والرغبة الجامحة التي ملأت قلبه وشغلت فكره، ودفعت به وباقي زملائه بشد الرحال نحو الجنوب الجزائري والتطلع عن كثب بجماله وروعته، الذي لطاما سحروا به. كذلك هي الرغبة في كتابة تاريخ المنطقة ومعرفة أسرار وخبايا الآخر، يضاف إلى هذا غاية أخرى غير مصرح بها، و قد تكون هذه الغاية إما سياسية أو عسكرية، ولاسيما وأن هذه الرحلة تم تأمين مسارها وتغطيتها من طرف السلطة العسكرية من جهة، ومن جهة ثانية مدة الرحلة التي قاربت عامين؛ فمعرفة الآخر بالنسبة للأجنبي تعني له الكثير خاصة في ظل الوضع السياسي والعسكري القائم.

إن الرحلة في غاية الأهمية لما قدمته لنا من معلومات متعددة ومتنوعة، شملت الجانب التاريخي، السياسي، العسكري، الإجتماعي، الإقتصادي، الديني، الثقافي، كما أنها أمدتنا بمادة جغرافية وصفية مهمة متباينة، تدخل في إطار الجغرافية الطبيعية و الجغرافية بشرية، رغم أن الكاتب لم يكن جغرافيا. وهذا ما سنحاول الوقوف عليه.

III. صورة الجغرافية الطبيعية لمنطقة المسيلة من خلال الرحلة

قدم لنا الرحالة شارل دوغالون معلومات جغرافية طبيعية[3] متنوعة، منها مايتعلق بجغرافية التضاريس[4] وجغرافية المناخ[1] وجغرافية الحياة (الحيوية) [2]وجغرافية التربة[3]، وتتجلى هذه الصور من خلال المحطة التي قادته إلى كل من مدينة بوسعادة ومدينة المسيلة.

---

1 - Ibid, p08.

2 - Ibid, p97.

3 - **الجغرافيا الطبيعية:** وتشتمل على عدة فروع و هي: جغرافية التضاريس، الجغرافية المناخية، الجغرافيا الحيوية، جغرافية التربة. أنظر: محمود محمد سيف: مرجع سابق، ص15.

4 - **جغرافيا التضاريس:** تهتم بدراسة أشكال سطح الأرض، والعوامل المختلفة التي تشكل هذا السطح، ويطلق عليها إسم الجيومورفولوجيا. وتعتمد على علم الجيولوجيا. أنظر: محمود محمد سيف: مرجع سابق، ص15.

1. منطقة بوسعادة:

بالنسبة للموقع الجغرافي ، تبعد مدينة بوسعادة 70 كلم عن عين الحجل[4] و تقع جنوب غرب الحضنة على سفوح جبل سلات، على إرتفاع 578م، أما عن مناخ المدينة فمو يتميز بحرارة شديدة عكس المناطق المساوية في الإرتفاع، وتتمتع بأجواء متقلبة وشديدة القوة من رياح وحرارة إلى غير ذلك بسبب خصوصية تضاريسها، فهي تقع وسط جبال ذات جدران صخرية ملساء، حيث تصل درجة الحرارة في الصيف إلى 42 درجة طيلة أربع أشهر، وعن معدل تساقط الأمطار يقول عنها الكاتب أنها منطقة جافة طوال العام و لا يسجل مقياس المطر سوى 250ملم فقط. كما تواجه ظواهر طبيعية صعبة أخرى مثل الضباب والجليد، الصقيع والزوابع الرملية.

تمتد جبال بوسعادة من القصور والعمور إلى غاية جنوب الهضاب العليا ويبلغ علوها 1500م عن سطح البحر[5] .

2. منطقة الحضنة (المسيلة):

جغرافيا تبعد المسيلة عن بوسعادة 70 كلم فتقع في سهل الحضنة، و هو عبارة عن سهل واسع يقع بين جبال أولاد نايل والزاب جنوبا وجبال ريرا شمالا، مشكلا حوضا يقع على إرتفاع 400م عن سطح البحر ويمتد من الشرق إلى الغرب بطول 70 كلم وعرض 25 كلم ويدعي شط الحضنة أو السبخة. يتألف من غطاء نباتي متنوع مشكل من: القطف، الحلفة، الدرين، السدرة، البلبال، الحد وهو طعام الجمال، الطرفة، الميكيربة الديس، الرتم، النيسي[6]. يتخلل هذا الشط وادي القصب ووادي الشلال، وواد البيضة[7].

IV. صورة الجغرافية البشرية لمنطقة المسيلة من خلال الرحلة:

---

1 – **جغرافية المناخ**: تتناول دراسة عناصر المناخ كالحرارة والضغط والرياح والمطار والعوامل المختلفة المؤثرة في هذه العناصر، كما تعتمد على علم الميتيورولوجيا. أنظر: محمود محمد سيف: مرجع سابق، ص15.

2 – **جغرافية الحيوية**: وتدرس مظاهر الحياة على سطح الأرض من نبات طبيعي أو حيوان وتعتمد على النبات والحيوان. محمود محمد سيف: مرجع سابق، ص15

3 – **جغرافية التربة**: تهتم بدراسة انواع التربة وتوزيعها واثرها على الإنتاج وتعتمد على التربة. محمود محمد سيف: مرجع سابق، ص15

4 – Galland (DE) : Op.cit, p29.

5 - Op.cit, p33.

6 - Ibid, p75.

7 - Ibid, p76.

تتجلى الصورة الجغرافية البشرية[1] لمنطقة الحضنة (المسيلة) من خلال العناصر التي تناولتها الرحلة والمتمثلة فيما يلي:

1. الجانب الإجتماعي:

تطرق الرحالة في رحلته هذه إلى الحديث عن السكان ومناطق إنتشارهم، في شكل أرقام وإحصائيات، كما زودنا أيضا بمادة خبرية هامة تتعلق بالعروش المكونة لهذا المجتمع وتعدادها، سواء فيما تعلق بالسكان المحليين أو المعمرين الأجانب مع ذكر بعض الجوانب من النشاطات وبعض الطبائع التي يمارسها هؤلاء. وهذا يدخل ضمن مجال الدراسات التي تهتم بها الجغرافية الإجتماعية كما سنرى.

أولا = دائرة بوسعادة: تمتد دائرة بوسعادة على مساحة 1484725 هكتار وتضم واحد وعشرون عرشا، بما في ذلك ملحقة سيدي عيسى، ويبلغ تعداد سكانها 29820 نسمة، وهذه العروش هي: أولاد سيدي إبراهيم، أولاد شريب، أولاد سيدي زيان، الرمانة، أولاد سليمان، الشرفات، الهامل، مسعد، أولاد علي بن محمد، أولاد خالد، أولاد عامر الظهارة، أولاد عامر لقبالة، أولاد محمد مبارك، أولاد عمارة.

أما ملحقة سيدي عيسى فهي تضم، العذاورة الشراقة، والعذاورة لغرابة، أولاد عبد الله، أولاد علي بن داود، سيدي عيسى، السلامات، أولاد سيدي هجرس، وتمتد هذه الملحقة على مساحة 20822 هكتار. و عليه يصبح مجموع الدائرة (بوسعادة) والملحقة (سيدي عيسى) : 56237 نسمة[2].

تنقسم المدينة إلى ستة أحياء سميت في بعض الأحيان نسبة إلى أولى العروش الذين نصبوا خيامهم بجوار الوادي وهذه الأحياء هي: حي المامين، حي أولاد زيروم، أولاد حميدة، أولاد حركات، أولاد عزيف، أولاد هلانف[3]. أما فيما يخص تعداد الفئات الإجتماعية المحلية وغير المحلية فقد جاء كمايلي:

أ- العنصر الأجنبي (المعمرون): يوجد بالدائرة جنسيات أجنبية متعددة وبنسب مختلفة، تشكلت بحسب طبيعة وجودها بالمنطقة. وقد قدم لنا الرحالة إحصائية رسمية أخيرة جاءت كما يلي:

---

1 - **الجغرافيا البشرية:** وتهتم بدراسة مظاهر الحياة البشرية المختلفة ومدى تاثيرها بالبيئة الطبيعية، كما تدرس الإنسان من حيث العدد والإنتشار وكذا مكان تواجده، بالإضافة إلى نشاطه الإقتصادي (التجاري، الفلاحي، الزراعي). وتحتاج الجغرافية البشرية إلى علوم أصولية مقابلة ومساعدة هي: الجغرافية الجنسية، الجغرافية الإجتماعية، الجغرافية الإقتصادية. أنظر: محمود محمد سيف: مرجع سابق، ص ص 15- 16.

2- Galland (DE) : Op.cit, p33

3 - Op.cit, p35

- **الإسرائيليون**: جاء ذكر فئة اليهود من طرف السلطة الإستعمارية بالإسرائليين (مصطلح الأمة) وتجنبت المصطلح الفئوي وهو اليهود، كما أنها لم تعمم هذا على باقي الفئات، مثل الأيبيريين (الإسبان) والرومانيين (الإيطاليين)، بالإضافة لهذا فإن الرحالة يشير في نفس الوقت إلى القرابة التي تجمع الإسرائليين بالعرب، حيث يقول:«...يمارس اليهود في بوسعادة على غرار أبناء عمومتهم أنواع التجارة والصياغة...»[1]، حيث بلغ عددهم 375 نسمة[2]، وهم يتواجدون منذ وقت غير معلوم وساعدهم في هذا الوجود تعايشهم مع العرب[3]، يمارسون التجارة والصياغة وبيع المجوهرات، وتجارة القماش وبيع الحبوب والخردوات، ويتبعون سياسة- الدورو أيجيب خوه- بمعنى الدورو يحصل دورو مثله، وسياسة القروض الغير مضمونة، حيث يصل القرض في دائرة بوسعادة إلى 850.000 فرنك فرنسي، لكن لا وجود لرهانات أو ضمانات صلبة، وهذا هو حال عموم الجزائر[4]. أما النساء اليهوديات فيمتهنّ مهنة النسيج، غزل الصوف وحياكة البرانس والزرابي[5].
- **الأجانب (المعمرون)**: قدم الرحالة إحصاء لهؤلاء الأجانب المعمرون حيث بلغ تعدادهم 72 نسمة، وحدد أصولهم، فبعضهم من مالطا و البعض الآخر من إسبانيا و إيطاليا.

ب- العنصر المحلي: حيث بلغ عدد سكان العرب في هذه الفترة 5020 نسمة، بالإظافة إلى إحدى عشر تونسي ومغربي، ويمكن الإشارة هنا أن هذا الإحصاء الذي قدم للرحالة من طرف السلطات الإستعمارية الفرنسية يكاد يكون نفسه الذي قدم للرحالة بول أدال paul Audel، من خلال رحلته من الجزائر إلى بوسعادة alger à bou-saada التي كانت سنة 1899م، بعد رحلة دو غالون سنة 1897م. حيث يقول بول أدال: «...هذا المكان ستة مائة منزل لستة آلاف ساكن. هنا كما في كل مكان: عقدتنا الوطنية في العدد محزنة، بصعوبة شديدة صار عددنا منذ آخر إحصاء: 135 فرنسيا، على 72 مالطيا و إسبانيا و إيطاليا، 359 إسرائليا، و 5000 مسلما عربيا: تونسيين ومغاربة...»[6].

ثانيا = مدينة المسيلة : أما عن الحدود الإدارية للمدينة فهي حدود مشتركة مع منطقة البيبان والمعاضيد شمالا وملحقة بريكة شرق وأولاد دراج الشراقة وبوسعاد جنوبا، وسيدي عيسى وعومال(سور الغزلان حاليا)

---

1 - Ibid, p38
2 - Ibid, p35
3 - Ibid, p36
4 - Ibid, p38
5 - Ibid, p36
6 - Paul Eudel :d'Alger à Bou-saada ,Augstin CHLLAMEL,Editeur,Paris,1904, pp49-50.

غربا. تبلغ مساحتها 383،963 هكتار وعدد سكانها حوالي 30.000 نسمة، صنفهم الرحالة دي قالون De Galland إلى بدو وحضر.

أ- البدو: و حسب رأي الرحالة فهم قوم أميون ونادرا ماتجد بينهم طُلبة، ويتبعون نظام العرش، أين تعود مسوؤلية الأسرة الكاملة بيد رب العائلة، كما تحرم المرأة لديهم من الميراث، وهم على المذهب المالكي ، ومن بين هؤلاء البدو المقيمين على أطراف مدينة المسيلة والمناطق المجاورة لها عرش أولاددراج وهم قوم متعصبين ، إلا أنهم يتمتعون باحترام كبير ووقار بين مختلف الأعراش والقبائل في المنطقة، بفضل الكرامات التي إمتاز بها مرابطيهم.

بالإضافة إلى هذا الوصف حدد الرحالة مناطق تواجد هذه الفئة وإنتشارها، فهؤلاء البدو يقيمون في مناطق؛ هي في شكل نزلات –جمع نزلة – والنزلة تتكون من أربعة خيم إلى ثمانية. ففي فصل الخريف يقوموا بأعمال الحرث والزرع تاركين باقي الأعمال والأشغال للخماسين ، و بحلول فصل الشتاء ينتقلون بقطعانهم من المواشي، والإبل، والخيول إلى شط الحضنة لتوفر المرعى والكلأ بشكل كاف. ثم يعودون إلى مضاربهم في فصل الربيع لبيع الشعير والقمح والصوف ، وبحلول فصل الصيف يرتحلون نحو المناطق التلية[1].

ب- الحضر: أما عن الحضر فيقيمون في مدينتي المسيلة وبوسعادة في منازل مبنية في الغالب باللبن أو من خليط الطين اليابس مع التبن وأسقف البيوت في الغالب من التراب المطلي بالجير يحمل على جريد النخل وجذوع الأشجار ،لا يملكون القطعان من الأنعام والإبل ، ولكن يكسبون الماعز والثيران ، البغال وتربية الخيل ، ومعظم السكان يعملون في البساتين التي تنتج التين ، المشمش، الخوخ ، إلى غير ذلك . وهم يورثن أراضيهم للبنات على العكس البدو[2].

بالإظافة إلى فئة البدو والحضر بتعداد 4222 نسمة، هناك فئة الأجانب التي تضم 120 أوربيا، و95 إسرائيليا يقطنون في الأحياء الأوربية بالمدينة[3]. لقد إكتفى الرحالة بذكر هذه الفئة دون التطرق لنشاطها، ولعله تجنب التكرار لأن نشاطهم المتمثل في التجارة وغيرها نفسه في مدينة بوسعادة.

2. الجانب الإقتصادي:

طبيعة المعلومات في هذا الجانب تتعلق بأهم الموارد الإقتصادية التي تتمتع بها منطقة الحضنة والكيفيات التي يتم بها تسويق هذه المواد، وكذا مناطق إنتشارها وتواجدها.حيث يدخل هذا في إطار دراسات التي تهتم بها الجغرافية الإقتصادية. وجاء الحديث عنها من خلال هذين العنصرين:

أولا= التجارة(أنواعها، طبيعتها، إنتشارها):

---

1 - Galland (DE) , op.cit, p84.

2 - Op.cit, p.84.

3 - Ibid, p86.

وهي عبارة عن مبادلات تجارية يقوم بها المجتمع الحضني القاطن بالمدن مثل مدينة بوسعادة ومدينة المسيلة (تجارة داخلية). فبوسعادة تعد مركزا للتجارة والأسواق الأسبوعية والصفقات المعتبرة، حيث تباع كل سنة 130 ألف رأس من الماشية و 150 ألف جزة صوف يجلبها أهالي وادي الرهير، وتتم مبادلتها بالحبوب الآتية من سهول الحضنة وسطيف في السوق الأسبوعية التي تقام كل ثلاثاء (تجارة خارجية). ويشير هنا الرحالة إلى الدور البارز لفئة بني ميزاب فهم منتشرون ليس فقط في بوسعادة بل في ربوع الجزائر، فهم قوم فطروا على التجارة منذ الصغر في بوسعادة، يتنافسون مع غيرهم من التجار بحيث يحتكرون السلع المفقودة من قماش وجواهر وحديد[1]. وهم إلى الآن معروفون بهذه الصفات التجارية.

أما بالنسبة لمدينة المسيلة، فتقام بها سوق أسبوعية ثلاث مرات في الأسبوع ،الأحد ،الأربعاء، الخميس، يتم فيه بيع كل شيء كما يقصده التجار والمتسوقون من المناطق القريبة من المدينة، و حتى البعيدة؛ فأحيانا يقصده متسوقي منطقة القبائل الذين يحملون معهم الزيت والتين المجفف ويأخذون الصوف والحبوب والجلود[2].

ثانيا = الحرف والصناعات اليدوية:

تنتشر هذه الحرف بشكل كبير في الشوارع الرئيسية للمدن، كما هو الحال في الشارع الرئيسي لمدينة بوسعادة، الذي يضم الأحياء العربية و تنتشر وتنشط فيه تجارة اليهود وحرف العرب وصناعتهم المحلية، المتمثلة في صناعة الجلود والحلي وكذا صناعة الخزف[3].بالإضافة إلى هذا هناك صناعة النسيج التي تمارسها النساء في مثل (الحايك، البرنوس، الزرابي)[4].

خاتمة :

يعد كتاب " رحلة إلى بوسعادة ومسيلة " للرحالة شارل دو غالون يمثل وثيقة تاريخية مهمة لما تحتويه من مادة خبرية متنوعة مست جوانب عديدة تتعلق بمنطقة المسيلة (الحضنة) مكانا وإنسانا، فبغض النظر عن الجوانب الإقتصادية، الإجتماعية، الثقافية، السياسية، العسكرية والتاريخية؛ عالجت الرحلة جانبا مهما ألا وهو الجانب الجغرافي للمنطقة.

---

1 - Ibid, p38.
2 - Ibid, p84.
3 - Ibid, p41.
4 - Ibid, pp 36-38.

جاءت الصورة الجغرافية المتنوعة بتنوع الفروع الجغرافية في حد ذاتها، حيث نجد الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية، و هذه الأخيرة بدورها تتنوعت بتنوع المعلومات، فتحديد الأماكن ومسافات وذكر السكان وتعدادهم وأصولهم وعاداتهم و مناطق إنتشارهم ومظاهرهم الحيوية، وكذا طبيعة الأرض والحيوان والنبات والإنسان والمناخ كما تم ذكره إنما يدخل في إطار الجغرافية البشرية و مختلف فروعها و هي: جغرافية التضاريس وجغرافية المناخ وجغرافية الحياة (الحيوية) وجغرافية التربة. وكلها عوامل نستشف من خلالها المكانة الجغرافية والإقتصادية لمنطقة الحضنة واهميتها، بحيث تعتبر المنطقة نقطة تواصل تجاري بين المناطق الشمالية للأطلس التلي والمناطق الجنوبية للأطلس الصحراوي، وهذا دليل أيضا على نشاط المنطقة في هذه الفترة وتفاعل المجتمع الحضني فيما بينه في شتى المجالات وإنفتاحه على باقي المناطق المجاورة.

وعليه معرفة الخصوصية الجغرافية لمنطقة الحضنة (المسيلة) في هذه الحقبة الزمنية أمر مهم، والرجوع لكتب الرحلات مثل هذه الرحلة، في غاية الأهمية، وذلك لسببين:

1. تعد الرحلة مصدرا هاما في كتابة التاريخ ولاسيما منه التاريخ المحلي.

2. يقوم الرحالة بتدوين كل مايراه أويشاهده من أحداث وصور من خلال إحتكاكه بالطبيعة أو الإنسان فبالتالي تكون المادة الخبرية متنوعة بين ما هو تاريخي، إقتصادي، إجتماعي، سياسي، جغرافي...إلخ. تخدم الباحثين كل حسب مجال إختصاصه.

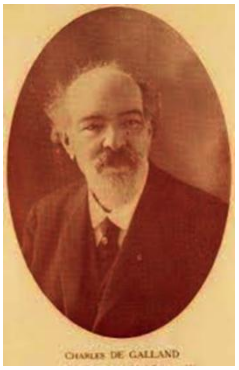

•صورة رقم 01: الرحالةشارل دوغالون

•صورة رقم 02 : واجهة الكتاب

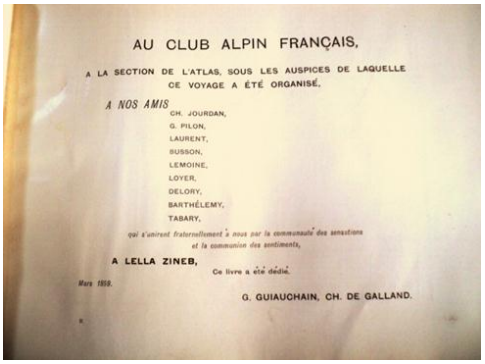
AU CLUB ALPIN FRANÇAIS,

A LA SECTION DE L'ATLAS, SOUS LES AUSPICES DE LAQUELLE
CE VOYAGE A ÉTÉ ORGANISÉ.

A NOS AMIS

CH. JOURDAN,
G. PILON,
LAURENT,
SUSSON,
LEMOINE,
LOYER,
DELORY,
BARTHÉLEMY,
TABARY,

qui s'unirent fraternellement à nous par la communauté des sensations
et la communion des sentiments,

A LELLA ZINEB,

Ce livre a été dédié.

Mars 1910.

G. GUIAUCHAIN, CH. DE GALLAND.

•صورة رقم 03 : الصفحة الأولى من الكتاب– الإهداء (صB)

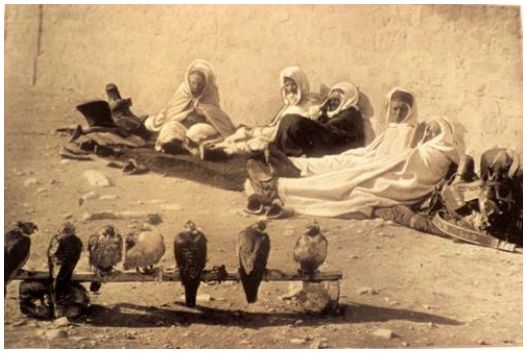

•الصورة رقم 04 : عين الحجل،الصقور وصياديها (ص23)

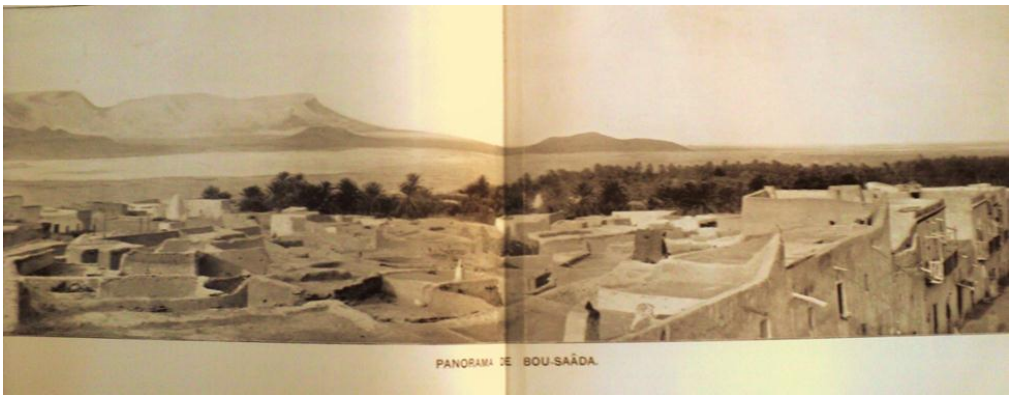

•الصورة رقم 05 : منظر عام لمدينة بوسعادة (ص31)

•الصورة رقم 06: المسجد والرواق– بوسعادة (ص39)

•الصورة رقم 07 : وادي بوسعادة (ص50)

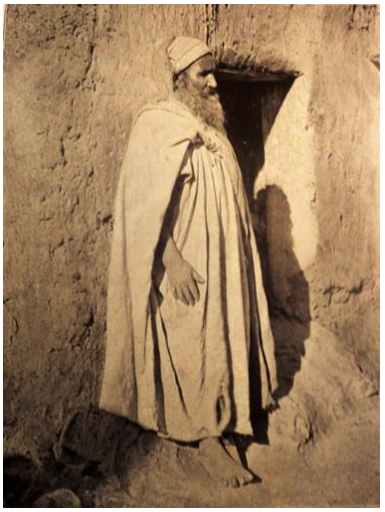

•الصورة رقم 08 : صورة ليهودي – بوسعادة (ص37)

• الصورة رقم 09: الراقصات- بوسعادة (ص57)

•الصورة رقم 10: رقصة نايلية فردية – بوسعادة (ص 60)

•الصورة رقم 11: رقصة ثنائية سعداوية – بوسعادة (ص61)

• الصورة رقم 12: منظر عام لمدينة الهامل (ص 72)

•الصورة رقم 13: في الحضنة (ص78)

•الصورة رقم 14: منظر عام لمدينة المسيلة بالقرب من الجهة اليمنى للوادي (ص85)

•الصورة رقم 15: المسيلة (ص 90)

•الصورة رقم 16: مسجد بوجملين – المسيلة (ص93)

•الصورة رقم 17 : قبة داخل مقبرة- المسيلة (ص87)

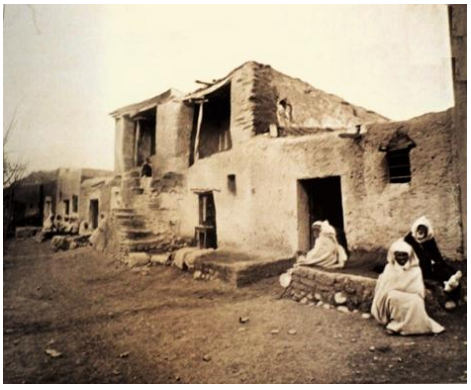

• الصورة رقم 18: سكنات بالمسيلة (ص91)

•الصورة رقم 19 : خريطة تمثل مسار الرحلة (ص08)

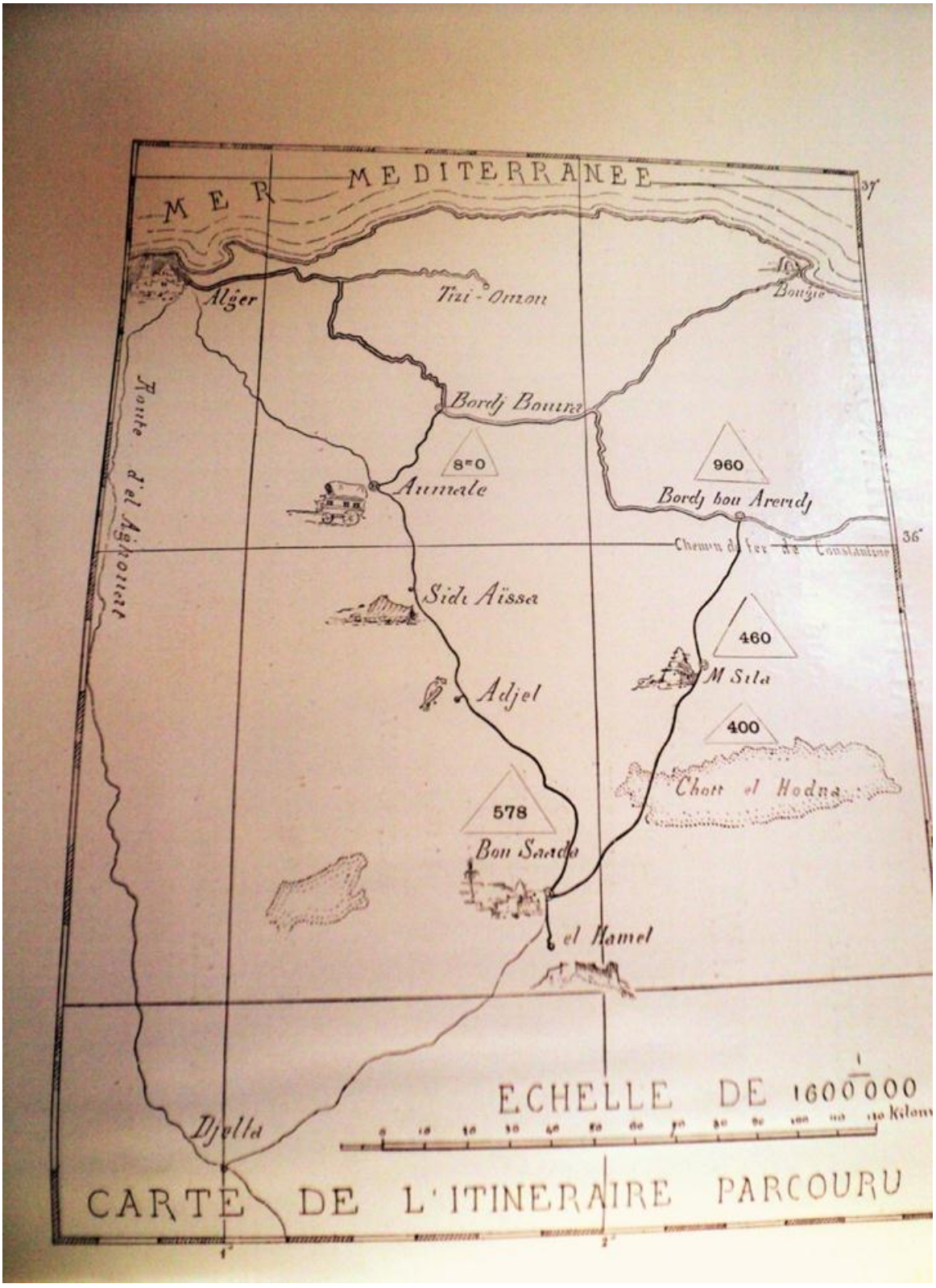
MER MEDITERRANEE
Alger
Tizi-Ouzou
Bougie
Bordj Bouira
Route d'el Aghouat
810
Aumale
960
Bordj bou Areridj
Chemin de fer de Constantine
36°
Sidi Aïssa
460
M Sila
Adjel
400
Chott el Hodna
578
Bon Saada
el Hamel
Djelfa
ECHELLE DE 1/600 000
CARTE DE L'ITINERAIRE PARCOURU